

الشرق الأوسط والقيامة

الكولونيل شربل بركات

في زمن القيامة هذا، زمن فصح الرب وقيامه مسيحه من بين الأموات، قاهرا الشر وناشرا سلامه الذي أعطاه للبشرية جمعاء منذ ألفي سنة، هل من قيامة لشرقنا العزيز الذي تغشاه غمامة النعمة، وتغلفه سحب الشر، وتلفحه رياح الحقد...؟

في زمن القيامة هذا، زمن الرجاء الواعد، يقف العالم مشدوها أمام سلاح، قديم جديد، تفتقت به أدمغة الشرق منذ ألف سنة، ومع شيخ الجبل "حسن الصباح" الفارسي المنشأ، الإسماعيلي الانتماء، والحاقد على حكم قمع طائفته وحرّم أتباعها، فعرف هو كيف يحول نغمته سلاحا قاتلا يرهب به هذا العدو، ويجعل كل وسائل دفاعه تسقط أمام عزم مؤمن ينفث غيظه، مخالفا وصية الله "ألا تقتل"، ليصل من أقرب الطرق إلى الجنة، حيث الحوار ي بانتظاره، وأنهر الخير واللذة والشباب الدائم...

في زمن القيامة هذا، يشتعل الشرق مرة أخرى، وتصل حممه إلى العالم أجمع، كيف لا والعالم قرية تتواصل طرقها، وتقرب مسافاتهما، وترتبط مصائر شعوبها، وتتشابك مصالح أبنائها، وهم يتوزعون في أحيائها ويتخالطون، فكيف يهرب من شر يتفاقم في أحدها، إي من أحيائها الأخرى...؟

في زمن القيامة هذا، تقف أكبر دولة في العالم، قدرة وتنظيما، قوة وسلاحا، تطورا وتقنية، بمواجهة الحفاة الجائعين، الذين تعودوا القهر ولم يستطعموا بغيره بعد، والذين عرفوا الظلم في الحكم فاعتقدوا بأن كل حكم إلى ظلم، فكيف إذا ما كان هذا الحكم سيد العالم أجمع، القابض على خيوط اللعبة والموجه لتفاصيلها...

في زمن القيامة هذا، يقف العالم أمام المتغيرات في دول القرار الديمقراطية، حيث يطيح الشعب برأس الحكم، لا لشيء أحيانا، إلا محبة في التغيير، وتنعكس هذه التقلبات قلحا على مصير الاستقرار الدولي، في مرحلة دقيقة من التاريخ، تتصارع فيها مراكز التنظيم والتخطيط مع أفواج من الحاقدين، الذين لا يملكون إلا مظاهر التوكّل على الله لفرض سيطرتهم على شعوب تزيد تفهقرا وتخلفا، فترى العدل في قهر الآخرين، وترى الحل في وقف التطور، وتتصور أن الله، عز وجل، جلاّد حاقّد، عطش للدماء، لا ترويه إلا أفواج المتقاتلين تحرر الأرواح، وزمر "المستشهدين" تفجر الأجساد وتبعثرها أشلاء وشظايا...

في زمن القيامة هذا، يربض لبنان تحت نير الاحتلال، وتكم أفواه بنيه، التائقين إلى الحرية، مشعلا ينير دروب الشرق في هذه الأيام الحالكة، ومنبرا يساهم في حلول مشاكل التطرف والنزاع في عالم يتباعد وينغلق يوما بعد يوم...

في زمن القيامة هذا، يهرب الله إلى البعيد ويغلق أذنيه وعينه كي لا يرى طمع الإنسان وجشعه، حقد ابن آدم وشره، يمزق كل الكتب ويحرقها، يدمر كل القيم ويسقطها، فلا تعود هناك قواسم للتفاهم ولا قواعد للتخاطب، ويرفع كل واحد سورا أمام الآخرين ويتمترس داخله موزعا نيران الغيظ ناشرا فلسفة البغض متحضرا دوما للانقضاض...

في زمن القيامة هذا، حيث الألم خبزنا اليومي، نعيش آلامك أيها السيد، في علاقاتنا اليومية، وفي تعاطينا حتى داخل مجتمعات الحضارة الجديدة التي تزينها التقنية المتطورة، ولكن التي لا تبعد عن أجواء البغض والألم، عن

أجواء القتل والدمار حتى في لعب الأطفال، وكأن العالم مصمم أن يعود بنا إلى عهود الغلب، عهود القهر والقوة، وكأن لا أنبياء إلا السيوف، ولا مرسلين إلى دعاة الحقد والقتل، ولا حالمين إلا بثورات الحجارة أو الدم، ليصبح طموح الأطفال قنبلة، وأمل الفتيات عبوة، ورجاء الأمهات خبر استشهاد....

في زمن القيامة هذا، هل نعرف أن نجدد الفرح ورجاء العهد الجديد، أم هل نجرؤ أن نحلم بعد بسلام الرب يغلف العالم انفتاحا ومحبة، حوارا وتعاون، أملا وجهد، في سبيل وقف المآسي ونبذ الحقد وتكملة الخلق الذي يدعونا لها الله؟

في زمن القيامة هذا، نطلب من المنتصر على الموت أن يظل بعطفه ورحمته أبناء البشر، فيد لهم الصغار والكبار، ويعد الكأس التي تشربها البشرية يوما بعد يوم. نسأل الله القادر أن يبعد شبح الحروب القادمة إلى بيوت الآمنين في كل الأرض، ويثبت في الإيمان كل المتعلقين برحمته، ويرأف بالمتضرعين إليه لرفع هذه الغمامة المستقرة المظلمة والتي تجعل الأرض موطننا للشر ومركزا لصراع لا يؤدي إلا إلى العنف المتبادل.

أيها الرب القائم من بين الأموات اجعل من بلدنا لبنان موطننا يشع بالمحبة والخير، بالرحمة والتعاون، بالانفتاح والتسامح. واجعل يا رب من شرقنا الحبيب مركز ونام وساحة تفاهم تزينها ألوان الفلسفات والعقائد المختلفة دونما تصارع، ويلونها تعدد في طرق الإيمان وتفهم حكمتك دونما قهر، ويرفعها إلى مصاف الأمم عدل دون ظلم وحكم يساعد على تخفيف الأعباء لا زيادتها...

في هذا اليوم يوم القيامة نتمنى للجميع في كل الأرض عام مفعم بالخير والمحبة وسلام حقيقي يعم الكل وكل عيد وأنتم بألف خير.

٢٠٠٤/٤/١١